جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
الدراسات العليا

التعبير القرآني في تفسير عون الرحمن في تفسير القرآن وبيان ما فيه من الهدايات والفوائد والأحكام تأليف أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم من الجزء (١-١٥) جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن، تخصص (علوم القرآن)

من قبل الطالب
أحمد شهاب أحمد كاظم

بإشراف :
أ.د. رعد طالب كريم

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م

Abstract

When the miracles of the Prophets (Peace Be Upon Them) were of the kind that their people excelled in, God revealed the Qur'an to the illiterate Prophet Muhammad (Peace Be Upon Him) to be his eternal miracle, indicating the truthfulness of his prophethood, and its revelation had a great impact on their souls, making them stand in wonder, amazed by the splendor of its statement and the beauty of its system, which made them unable to come up with anything like it or some of it. As it was the year of Allah in miracles that the miracle shown by Allah at the hands of each of His Prophets should be of the kind of what his people excelled in this is why this study aims to link rhetoric and interpretation by studying the rhetorical issues of the Verses of the Holy Quran in the interpretation of Dr. Sulaiman Al-Lahim, and to identify the sources of Dr. Al-Lahim and learn about his doctrine and rhetorical approach through the presentation and discussion of rhetorical issues.

المبحث الأول

الاختيار في الأسماء

نقصد بذلك تعليل **الدكتور سليمان اللاحم** لاستعمال القرآن الكريم أسماء معينة واختيارها على غيرها ، فمن المفسرين الذين تتبعوا عناية القرآن الكريم بالمفردة القرآنية ودلالتها ومعناها والفرق في استعمالاتها ، والاهتمام بإيحاءاتها والفروق بينها **الدكتور سليمان اللاحم** ، مبينًا أهم ما تؤديه من خصائص وسمات في ظلال سياقها ، ومن شواهد اختيار الألفاظ القرآنية وملاءمتها لسياقها وعلل اختيارها من وجهة نظر **الدكتور سليمان اللاحم** في الأسماء استعمال القرآن الكريم لفظ : (الحمد) دون (الشكر)، قال تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] عَلَّلَ **الدكتور سليمان اللاحم** اختيار النظم القرآني للفظ (الحمد) على الشكر فبين الفرق بينهما بدقة بأنَّ الحمد أعم من الشكر من حيث ما يقع عليه، فهو يقع على الصفات اللازمة والمتعدية، أي : يكون لكمال المحمود ولإنعامه بينما الشكر أخص من حيث ما يقع عليه فهو لا يقع إلا على الصفات المتعدية، أي : ما يكون إلا في مقابلة نعمة، فهو لا يكون إلا جزاء على نعمة بينما الحمد يكون جزاءً كالشكر، ويكون ابتداءً، والحمد يختص باللسان فقط وليس معنى كونه يقع باللسان فقط أن يكون ذلك بدون مواطأة القلب وموافقته؛ لأنَّ الحمد كما تقدم وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم في القلب ، بخلاف الشكر فهو يقع باللسان والقلب والجوارح[2]، وهذا القول الذي ذكره اللاحم قال بنحوه أكثر أهل العلم[3].

---

(١) سورة الفاتحة آية: (٢) .

(٢) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن : ١/١٥٧- ١٥٨ .

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ٥٠ ، تفسير الكشاف، الزمخشري :١/ ٨ ٩/١ ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الفخر الرازي : ١٢/ ٤٧٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١/ ١٣٤، اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل : ٨/ ٥ ، مدارج السالكين في منازل السائرين ، ابن القيم الجوزية : ٢ / ٥٩٣ .

قَالَ الأَزهريُّ (ت ٣٧٠هـ): ((الشُّكْر لَا يكون إلا ثَنَاءً لِيد أَولَيْتَهَا، والحمدُ قد يكون شُكْراً للصنيعةِ، وَيكون ابْتِدَاء للثّناءُ على الرَّجل، فحَمَدُ الله: الثَّنَاءُ عليه، ويكونُ شُكْراً لِنِعَمه الَّتِي شَـــمِلَت الكُلّ، والحمْدُ أَعمُّ من الشُّـــكْر))[١]، وقال ابن كثير: ((إِنَّ الْحَمْدَ هُوَ الثَّنَاءُبِالْقَوْلِ عَلَى الْمَحْمُودِ بِصِـفَاتِهِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، وَالشُّـكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْمُتَعَدِّيَةِ، وَيَكُونُ بِالْجَنَانِ وَاللِّسَـــانِ وَالْأَرْكَانِ))[٢]، ولهذا قال تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن ذلك الاختيار أيضًا تخصيص القران الكريم الهداية للمتقين دون غيرهم وذلك في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤] بَيَّنَ **الدكتور سليمان اللاحم** عِلَّة هذا الاختيار بقوله : ((وخُصَّت الهداية للمتقين؛ لأنَّهم هم المنتفعون بالقرآن، الموفقون للاهتداء والعمل به))[٥] كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [٦].

وهنا قد يسألُ سائلٌ كيف خُصَّت الهِدايةُ للمتقين وقد قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٧]، وبيان ذلك أنَّ الهداية في القرآن الكريم على نوعين: هداية عامة وهي هداية دلالة وبيان وإرشاد أي: دالّاً للناس على الطريق المستقيم والمنهج القويم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٨] وقال تعالى:

---

(١) تهذيب اللغة ، الأزهري : ٢٥٢/٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ١ / ١٢٨ .
(٣) سورة الانعام : آية (٦) .
(٤) سورة البقرة : آية (١، ٢) .
(٥) عون الرحمن في تفسير القرآن :٣٣/٢ .
(٦) سورة فصلت آية : (٤٤) .
(٧) سورة البقرة آية : (١٨٥) .
(٨) سورة الإسراء : آية (٩) .

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] ، وهداية خاصّة وهي هداية توفيق وتسديد للمتقين المؤمنين أي: أن يوفق الله المرء للعمل بما علم؛ وهذه الهداية لا يَملِكها إلا الله تعالى[2] قال تعالى لنَبيّه مُحمَّد(ﷺ): ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[3].

قال السعدي(ت ١٣٧٦هـ): ((إنَّ الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق، فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق))[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [5] إذ قال تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل (بنارهم) بَيَّنَ **الدكتور سليمان اللاحم** عِلَّة الاختيار في هذا المثل الذي شبَّه الله به المنافقين إذ لم يقل (ذهب الله بنارهم) ؛ لأنَّ الله ذهب بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الإحراق والدخان ، وكذلك لم يقل (بضوئهم) ؛ لأنَّ الضوء هو زيادة النور فإذا ذهب النور فذهاب زيادته وهو الضوء من باب أولى [6].

كما أشار **الدكتور سليمان اللاحم** إلى اختيار التعبير بلفظ العبودية وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم

---

(١) سورة ال عمران آية : (١٣٨) .

(٢) ينظر: عون الرحمن في تفسير القرآن : ٨١/٣ – ٨٢ ، تفسير العثيمين: سبأ : ٦١، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: ٣٣١ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي : ١١/ ١٥٣، تفسير الشعراوي – الخواطر: ١٣/ ٨٢٢٨ .

(٣) سورة القصص : آية (٥٦) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي : ٤٠ .

(٥) سورة البقرة : آية (١٧) .

(٦) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن : ٦٩/٢ .

مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1] فقال ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ ولم يقل (على رسولنا) يرى **الدكتور سليمان اللاحم** أنَّ العبودية لله (ﷻ) هي أفضل ما يوصف به البشر وعلى رأسهم الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، فوصفه به هنا (ﷺ) في مقام تكريمه بإنزال القرآن عليه والتحدي به والدفاع عنه ، وهذا الوصف وصفه به (ﷻ) في مقام العبادة فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾[2]، وقد وصف الله به رسوله بالعبودية في أعلى المقامات وأعظمها مقام قربه من ربه ليلة الإسراء[3]، كما قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [4]، وَالتَّعْبِيرُ بِلَفْظِ العبودية فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ مَقَامَ الْعُبُودِيَّةِ هُوَ أَشْرَفُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَأَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا، إِذْ لَوْ كَانَ هُنَاكَ وَصْفٌ أَعْظَمُ مِنْهُ لَعَبَّرَ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، الَّذِي اخْتَرَقَ الْعَبْدُ فِيهِ السَّبْعَ الطِّبَاقَ وَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى[5].

ومن ذلك الاختيار في الأسماء إظهار لفظ (هداي) في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[6] فقال: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ ولم يقل (فمن تَبِعَهُ) ولم يقل (الهُدَى) بالتعريف بـ(أل) بل أضافهُ إليه (ﷻ) فقال هُدَاي الذي أَرسَلتُ به الرسل وأَنزَلتُ به الكتب؛ تعظيمًا لهداه وترغيبًا في إتباعه؛ لِأَنَّهُ هو الذي شَرَّعَهُ ويوصل إليه سبحانه [7]، كما قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٣) .

(٢) سورة الجن : آية (١٩) .

(٣) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن :٨٦/٢ .

(٤) سورة الإسراء : آية (١) .

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي: ٣/ ٤٧٤ .

(٦) سورة البقرة : آية (٣٨) .

(٧) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن: ١٤١/٢ .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[1]، والتعريف بالإضافة في إضافة الهدى إليه (ﷻ) من تعظيم الهدى ما لا يكون فيه لو كان معرَّفًا بالألف واللام ، فالإضافة تؤدي معنى الألف واللام من التعريف، ويزيد على ذلك بمزية التعظيم والتشريف[2]، ولفظ الهدى في قوله: ﴿هُدَايَ﴾ هو عين الْهُدَى فِي قوله: ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ لكنَّهُ أُظْهِر اهتمامًا بالهدى ليزيد رسوخًا في اذهان المخاطبين ، ولتكون هذه الجملة مستقلةً بنفسها لا تشتملُ على عائد يحتاج الى ذكر معادٍ حتى يَتَأَتَّى تسييرها مسير المثل أو النصيحة فتلحظُ فتحفظُ وتتذكرها النفوس لِتُهَذَّبَ وَتَرْتَاض كما أَظْهَرَ فِي قوله تعالى:﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3] فلم يقل: (إنَّهُ كان زهوقًا) لتسير هذه الجملة مسير المثل، إذ الجملة الأولى (مِّنِّي هُدًى) تضمَّنَتْ وَصْفَ الْهُدَى بِأَنَّهُ آتٍ مِنَ اللَّهِ وَالْإِضَافَةُ فِي الجملة الثانية تفيد هَذَا الْمُفَادَ[4].

ومن ذلك الاختيار الإظهار في موقع الإضمار قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5] فقال ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولم يقل: (فأنزلنا عليهم)، بَيَّنَ **الدكتور سليمان اللاحم** سبب اختيار هذا الإسم دون الضمير فقال: ((والغرض من هذا الإظهار تأكيد الحكم عليهم بالظلم، وأنَّهُ سبب عقوبتهم، وليشمل هذا الحكم كل من بدل، فهو ظالم مستحق للعقوبة وفيه تحذير من الظلم؛ لأنَّ العقوبة نهاية كل ظالم وفيه إظهار عدل الله (ﷻ) بتخصيصه العقوبة بالظالمين بسبب ظلمهم))[6].

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٥٣) .

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي : ١/ ٢٧٣ .

(٣) سورة الإسراء : آية (٨١) .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور : ١/ ٤٤٢ .

(٥) سورة البقرة : آية (٥٩) .

(٦) عون الرحمن في تفسير القرآن: ٢٠٧/٢ .

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] أظهر لفظ (المتقين) الذين اتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه ولم يقل (فإن الله يحبه) بل قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بَيَّنَ **الدكتور سليمان اللاحم** أنَّهُ أظهر في مقام الإضمار ليبين عِلَّة حبه لهم فإنَّهُ (ﷻ) يحبهم لتقواهم، وأظهر أيضًا ليعم حب الله تعالى لعموم المتقين[2].

ومنه أيضًا أظهار لفظ (الرسول) على الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3] يعلل **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك بقوله: ((وأظهر في مقام الإضمار فلم يقل: واستغفرت لهم تفخيمًا لشأنه (ﷺ) وتعظيمًا لشأن استغفاره (ﷺ) ؛ لأنَّ دعوته(ﷺ) مستجابة))[4].

وهذا التعليل علَّ به كثير من المفسرين أي: اظهار لفظ الرسول(ﷺ) ولم يقل: (واستغفرت لهم) بذكر الضمير؛ بأنَّه لتفخيم شأن رسول الله (ﷺ) وتعظيمًا لاستغفاره(ﷺ)[5].

---

(١) سورة ال عمران : آية (٧٦) .

(٢) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن: ٢٧٧/٤ .

(٣) سورة النساء : آية (٦٤) .

(٤) عون الرحمن في تفسير القرآن: ٧٣/٦ .

(٥) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري: ١ /٥

٢٨، تفسير الراغب الأصفهاني: ٣/ ١٣٠٢، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٣/ ٦٩٣، روح المعاني، الآلوسي : ٣/ ٦٨ .

ومن ذلك الاختيار في الأسماء ذكر عيسى(عليه السلام) غالبًا منسوبًا إلى أمه قال تعالى :﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(١) يعلل **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك أي: اختيار القرآن الكريم ذكر عيسى غالبًا منسوبًا إلى أمه مريم إبنة عمران من سبط يهوذا وذلك آية من آيات الله القدرية الكونية؛ لِأَنَّ الله خلقه من أنثى بلا ذكر؛ للتذكير بعظيم قدرة الله تعالى، بينما لا يذكر نسب غيره من الأنبياء حتى ولا لآبائهم(٢).

ومن ذلك الاختيار ما ذَكَرَهُ **الدكتور سليمان اللاحم** في سبب مجيء النفي بصيغة اسم الإستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ (٣) فبين ذلك مُوَضِحًا أنَّ مجيء النفي بصيغة الإستفهام أبلغ من النفي المجرد؛ إذ إنَّهُ يتضمن معنى النفي، ويكون مشربًا بالتحدي كأنَّهُ يقول أي أحد يكون أظلم من هذا؛ أي: لا يمكن أن يكون أحد أظلم منه (٤).

وهنا قد يستشكل على بعضهم أنَّ هذه الصيغة قد تكررت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٥) ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾(٦) وقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾(٧) ولمَّا كان هذا الإستفهام معناه النفي كان خبرًا فتوهم بعضُ الناس أَنَّهُ إِذَا أُخِذت هذه الايات على ظَوَاهِرِهَا أَدَّى إِلَى التَّنَاقُضِ ووجه الجمع بين هذه الآيات أن يجاب بأوجه :

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٧).
(٢) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن: ٢٨٩/٢ .
(٣) سورة البقرة : آية (١١٤) .
(٤) ينظر: عون الرحمن في تفسير القرآن: ٣٩٥/٢ ، ٢٠٩/٤ .
(٥) سورة الأنعام : آية (٢١) .
(٦) سورة الأنعام : آية (١٥٧) .
(٧) سورة السجدة : آية (٢٢) .

أحدها : أَنْ يُخَصَّ كلُّ واحدٍ بمعنى صلته أي: أنَّ كلًّا منها تكون مختصة بباب معين، كأنَّهُ قال لا أحد من المانعين أظلمُ مِمَّن منع مساجد الله و في باب الافتراء لا أحد أظلمُ مِمَّن افترى على الله ، وهكذا تكون كل واحدة مختصة بالسياق الذي ذكرت فيه،

الثاني: أنَّ التخصيصَ يكونُ بالنسبةِ إلى السَّبْقِ، لمَّا لم يُسْبَقْ أحدٌ إلى مثلِه حَكَم عليهم بأنَّهم أظلمُ مِمَّن جاء بعدَهم سالكًا طريقتَهم في ذلك،

الثالث: واختاره أَبُو حَيَّانَ(ت ٧٤٥ هـ) في البحر المحيط أَنَّهُ الصَّوَابُ إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية لم يكن أحد ما وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنَّهم متساوون في ذلك، وصار المعنى: ولا أحد أظلم ممن منع، وممن افترى وممن ذُكّر، ولا إشكال فى تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدلّ ذلك على أن أحد هؤلاء يزيد على الآخر في الظلم ، فإذا قُلنا: لا أحد أظلمُ ممن فعل هذا الفعل فإنَّهُ لا يزيده أحد من الناس، ولكن لا يمنع ذلك من أن يَوجد له مُسَاوِيًا فِي الْأَظْلَمِيَّةِ وَحَاصِلُ الْجَوَابِ أَنَّ نفي التفضيل لَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الْمُسَاوَاةِ [(١)].

ومن ذلك الاختيار دعاء أكثر الانبياء (عليهم السلام) والمؤمنون باسم (الرب) وصفة الربوبية فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿رَبِّ

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي : ١/ ٥٧٢، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي :٢/ ٧٧، اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل : ٢/ ٤٠٥، البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي : ٤/ ٧٥، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي : ٣/ ٩٨ .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٦٠) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢٨٦) .

﴿ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾[1]، يعلل **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك أنَّ من أعظم ما يدعى ويتوسل به إلى الله ربوبيته، والتي معناها الخالق والمالك والمدبر؛ وذلك لأنَّ إجابة الدعاء من مقتضيات الربوبية[2]، فالدعاء في القرآن حيث وقع لا يكاد يجيء إلا مصدَّرًا باسم الرب المتضمّن قدرته وإحسانه وتربيته عبدَه وإصلاح أمره، ويُثنى عليه بإلهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العُلى والأسماء الحسنى[3].

وجاء لفظ ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ على لسان قوم موسى في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ﴾[4] بصيغة الأمر لموسى (عليه السلام) دون أن يقولوا (فادع لنا ربنا) أو(فادع الله لنا) يُبَين **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك لما في قلوبهم من الاستكبار جفاءً منهم وسوء أدب في الخطاب كأنَّ رب موسى ليس ربًا لهم عياذًا بالله[5].

ومن ذلك اختيار(القلوب) والتعبير به فقال: ﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ ولم يقل (فألف بينكم) في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾[6] يقول **الدكتور سليمان اللاحم** في سبب ذلك الاختيار: ((لأنَّ الشأن والمدار على اجتماع القلوب، حتى

---

(١) سورة إبراهيم : آية (٤٠-٤١) .

(٢) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن : ٤٨٩/٣ ، ٦٢٠، ١٩٥/١٢ .

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية : ٢/ ٦٩٣ .

(٤) سورة البقرة آية (٦١) .

(٥) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن: ٢١١/٢- ٢١٢ .

(٦) سورة ال عمران : آية (١٠٣) .

ولو تباعدت الأبدان والأوطان، ولا فائدة في اجتماع الأبدان مع تنافر القلوب وتفرقها))[١]، كما قال تعالى عن اليهود: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[٢].

ومنه التعبير بلفظ (الأجر) واختياره دون (الثواب) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣] يقول **الدكتور سليمان اللاحم** في سبب ذلك الاختيار: ((وسمَّى ثوابهم أجراً؛ لضمانه (ﷻ) له وتكفله به، وأنَّهُ لا يضيع عنده))[٤]، كما قال تعالى:﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٥].

والأجر والثواب يوجد بينهما تقارب في اللغة جاء في لسان العرب: ((الأجر: الجزاء على العمل، والجمع أجور، والإجارة: من أجر يأجر، وهو ما أعطيت من أجر في عمل، والأجر: الثواب))[٦]، وجاء فيه أيضًا: ((والثَّوابُ: جَزاءُ الطاعةِ، وَكَذَلِكَ المَثُوبةُ، وأَعْطاه ثَوابَه ومَثُوبَتَهُ ومَثْوَبَتَه أَي جَزاءَ مَا عَمِلَه))[٧]، غير أنَّ الأجر أخص من الثواب؛ لأنَّ الأجر لا يقال إلا فى النفع دون الضر نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٨]، والأجر والأجرة ما يعود من ثواب العمل، دنيويًا أَو أخرويًا، والأُجرة فى الثَّواب الدّنيوىّ، والأَجر فى الآخرة، يقال فيما كان من عقد وما يجرى مَجْرى العقد[٩]، والثواب

---

(١) عون الرحمن في تفسير القرآن : ٣٧٧/٤ .

(٢) سورة الحشر : آية (١٤) .

(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٢) .

(٤) عون الرحمن في تفسير القرآن : ٤٩٥/٣ .

(٥) سورة الكهف : آية (٣٠) .

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (أجر) : ٤/ ١٠ .

(٧) ينظر: المصدر السابق نفسه، مادة (ثوب) : ١/ ٢٤٤ .

(٨) سورة آل عمران: آية (١٩٩) .

(٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٤، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى : ٢/ ١٣١ .

يقال فى الخير والشر، لكنَّ الأكثر المشهور فى الخير، وكذلك المَثُوبة، وقوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾[1] فإنَّ ذلك استعارة فى الشرّ كاستعارة البشارة فيه[2].

ومنه التعبير بلفظ (السحت) واختياره دون (الحرام) في قوله تعالى:﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾[3] يعلل **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك أنَّهُ إنَّما سُمِّيَ الحرامُ بالسحتِ أو وِصفَ بهِ تنفيرًا منه؛ لعظم أثره؛ لأنَّهُ لا بركة فيه، بل ينسحت بنفسه، أي يذهب ويضمحل، فهو من أعظم أسباب خراب البلاد وفساد العباد[4]، والسُّحْتُ: الحرامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُه، وَسُمِّيَ سُحْتًا؛ لِأَنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهُ، وَيُقَالُ أَسْحَتَ فِي تِجَارَتِهِ، إِذَا كَسَبَ السُّحْتَ، وَأَسْحَتَ مَالَهُ: اسْتَأْصَلَه وأَفْسَدَهُ[5]، فَهُوَ مَمْحُوقٌ مَسْحُوتٌ كما قال تعالى:﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾[6].

ومنه التعبير بالضمير في قوله تعالى:﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[7]، فقال ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: يبادرون ويسابقون فيهم ولم يقل (في موالاتهم) أو (في مناصرتهم)؛ والسبب في هذا الاختيار من وجهة نظر **الدكتور سليمان اللاحم:** ((ليكون أعم، أي: في كل ما من شأنه موالاة اليهود والنصارى ونصرتهم وقوتهم

---

(١) سورة المائدة : آية (٦٠) .

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى: ٢/ ٣٣٧، وينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي: ٣٢٧ –٣٨٢

(٣) سورة المائدة : آية (٦٢)

(٤) ينظر : عون الرحمن في تفسير القرآن: ٥٠٣/٧ .

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (سحت) : ٣/ ١٤٣، لسان العرب، ابن منظور، مادة (سحت): ٢/ ٤١ .

(٦) سورة البقرة : آية (٢٧٦) .

(٧) سورة المائدة: آية (٥٢) .

وموادتهم في الظاهر والباطن وغير ذلك))[١] فقوله ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ أفاد العموم أي: في كل ما يكون سببًا لقوتهم وعزتهم[٢].

بينما يرى الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) والآلوسي (ت ١٣٤٢هـ) أنَّ المسارعة في موالاتهم ألا أنَّهُ قال (فيهم) للمبالغة في بيان رغبتهم في تلك الموالاة حتى كأنَّهم مستقرون فيها[٣].

ونَبَّهَ **الدكتور سليمان اللاحم** في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[٤] السبب في اختيار لفظ (الموتى) إذ أكَّدَ على بلاغة القرآن في التنفير مِمَّا يُرَاد التنفير منه، في تمثيله الكفار المعرضين الذين لم يستجيبوا للرسول (ﷺ) ولم يسمعوا له بل أعرضوا عنه وكذبوه بالموتى فهم موتى لا يسمعون؛ لموت قلوبهم[٥]، فجعل الله تعالى ذكره الكفار في عداد الموتى إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله ولا يعتبرون بآياته ولا يصدقون برسله[٦].

وقيل إنَّهم الموتى حقيقة كل من مات من مستجيب وغير مستجيب يبعثهم الله يوم القيامة للحساب[٧].

---

(١) عون الرحمن في تفسير القرآن : ٤٥٩/٧ .

(٢) ينظر: تفسير العثيمين: المائدة : ٢/ ٢٠ .

(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني: ٢/ ٥٨ ، روح المعاني، الآلوسي : ٣/ ٣٢٥ .

(٤) سورة الأنعام : آية (٣٦) .

(٥) ينظر: عون الرحمن في تفسير القرآن : ٩٧/٨، ١٠١ .

(٦) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري : ١١ / ٣٤١ .

(٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٢/ ٢٥ ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٦/ ٤١٨، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٤/ ٤٩٨ .

ومن ذلك الاختيار ذكره تعالى لفظ (قريب) بالتذكير ولم يقل (قريبة) بالتأنيث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] ، وعدم لحاق علامة التأنيث لوصف (قريب) مع أن موصوفه الرحمة مؤنث اللفظ وجهه علماء العربية بوجوه كثيره أحسنها كما يقول ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) قول الفراء(ت ٢٠٧ هـ) وأبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) واختار هذا القول كذلك الدكتور فاضل السامرائي[2] : أنَّ قريبًا أو بعيدًا إذا أطلق على قرابة النسب أو بعد النسب يؤنث تقول: هذه المرأة قريبتي، أي: ذات قرابتي، وإذا أطلق على قرب المسافة أو بعدها يجوز فيه التذكير والتأنيث يقال: دارك منا قريب، وفلانة منا قريب، وَذَلِكَ أنَّ القريب فِي المعنى كأنَّهُ فِي تأويل: هي من مكان قريب[3] قال الله تعالى:﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[4].

وقيل إنَّ قريب على وزن فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث كرجل جريح وامرأة جريح، أو بمعنى فاعل وأُجرِيَ مجرى مفعول أشبه في اللفظ فعيلاً بمعنى مفعول فحذفت التاء منه حملًا على الذي بمعنى مفعول، واختار الآلوسي القول أنَّ فعيلًا هنا بمعنى فاعل لا بمعنى مفعول؛ لأنَّ الرحمة صفة ذات وصفات الذات لا يحسن الإخبار عنها بأنَّها مُقرَّبَة [5].

---

(١) سورة الأعراف : آية (٥٦) .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور: ٨-ب/ ١٧٧، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل- محاضرات ، فاضل السامرائي: ٧٦٤ ، https://s٢u.٤UA٨٣lk .

(٣) ينظر: معاني القرآن ، الفراء : ١/ ٣٨٠، مجاز القرآن ، أبو عبيدة : ١/ ٢١٦ – ٢١٧ .

(٤) سورة الأحزاب: آية (٦٣) .

(٥) ينظر: شرح الكافية الشافية ، ابن مالك : ٤/ ١٧٤٠، شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الأستراباذي: ١٣٩/٢، شرح الفارضي على ألفية ابن مالك : ٤/ ١٦٥ ، روح المعاني ، الآلوسي: ٤/ ٣٨١، ٣٨٣، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار : ٢/ ٣٢٤ .

وثمة آمرٌ آخر ذكره النحويون في سبب تذكير لفظ (قريب) أنَّهُ قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير والتأنيث بشرط أن يكون المضاف صالحًا للحذف، وإقامة المضاف إليه مقامه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فرحمة مؤنث واكتسبت التذكير بإضافتها إلى الله تعالى فعودة الضمير في قريب مذكرًا على رحمة؛ لأنَّها اكتسبت التذكير من إضافتها إلى لفظ الجلالة الله [١].

أمَّا عن سبب اختيار التذكير فيرى **الدكتور سليمان اللاحم** أنَّهُ إذا كانت رحمته قريبة من المحسنين ففي حذف التاء من قريب تنبيه على قربه (ﷻ) من المحسنين؛ فهو قريب منهم لمحبته لهم[٢].

قال الدكتور فاضل السامرائي: ((ولم يقل (قريبة) وذلك لكسب معنيين، وهما قرب رحمة الله وقربه هو أيضًا وليست الرحمة وحدها قريبة))[٣].

ومن ذلك الاختيار التعبير بلفظ (الدواب) واختياره دون (الناس) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] فقال تعالى ذكره عن الذين كفروا ﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ ولم يقل شر الناس، عَلَّلَ **الدكتور سليمان اللاحم** ذلك الاختيار بأنَّهُ تحقيرًا لهم، وتأكيدًا لزيادة شرهم، فهؤلاء هم شر الدواب؛ لكفرهم وانتفاء إيمانهم في المستقبل، وهو قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وإنَّما كان الذين كفروا شر الدواب؛ لجهلهم بربهم وعصيانهم له دون سائر الدواب، فجميع المخلوقات من الحيوانات التي تدب على الأرض ناطقها وبهيمها، ومن الجمادات كلها انقادت لله (ﷻ) طائعة وساجدة له، واهتدت لما

---

١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام النحوي : ٣/ ٨٩، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣/ ٥١، معاني النحو، فاضل السامرائي: ٣/ ١٣٤ .

(٢) ينظر: عون الرحمن في تفسير القرآن: ١٣٧/٩ .

(٣) معاني النحو ، فاضل السامرائي : ٣/ ١٣٦ .

(٤) سورة الأنفال : آية (٥٥) .

خلقت له سوى الذين كفروا[1]؛ كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، فجعل الله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا أي: أصروا على الكفر ورسخوا فيه شر الدواب لا شر الناس فعبر عنهم بالدَّوَابِّ؛ ليتأكد ذمهم وليفضل عليهم الكلب العقور والخنزير وغيرها وهذا إيماء إلى أنَّهم بمعزل عن مجانستهم بل هم من جنس الدوابّ وأشرُّ أفراده فشبَّههُم الله تعالى بالبهائم بل جعلهم شرًا منها، وذلك منتهى البلاغة ونهاية الإعجاز[3].

ومن هذا الإختيار في الأسماء أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[4] فلم يقل: (أكثر عملًا)، يقول **الدكتور سليمان اللاحم** في سبب ذلك الاختيار: ((أي: أيهم أخلص عملًا وأصوبه، ولم يقل: أكثر عملًا؛ لأنَّ العبرة بالأحسن، لا بالأكثر، أي : بالكيف لا بالكم))[5].

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[6]: ((وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولم يقل: أكثر عملًا بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصا لله (ﷻ)، على شريعة رسول الله (ﷺ)

---

(١) ينظر عون الرحمن في تفسير القرآن: ١٠/١٧١ -١٧٢ .

(٢) سورة الحج : آية (١٨) .

(٣) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري : ٢/ ٢٠٩، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي : ٢/ ٥١٣ ، روح المعاني ، الآلوسي : ٥/ ٢١٧، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني : ١/ ٤٦٣ .

(٤) سورة الكهف : آية (٧) .

(٥) عون الرحمن في تفسير القرآن: ١٣/٢٢٧ .

(٦) سورة هود : آية (٧) .

، فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط))[1]، فالعبرة بالأحسن لا بالأكثر، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصا لله (ﷻ)، وعلى شريعة رسول الله (ﷺ) فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين حبط وبطل[2].

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير : ٤/ ٣٠٨ .

[2] ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي : ٥/ ٦٨ ، الأساس في التفسير، سعيد حوّى: ٥/ ٢٥٣٦، تفسير العثيمين: الكهف : ١٩ .